مجلة إشكالات في اللغة والأدب | مجلد: 10 عدد: 5 السنة: 2021
ص: 316 - 328 | E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

دلائلية المتممات في القرآن الكريم: الآيتين(تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) و(وامْرأَتُه حَمَّالة الحطب) أنموذجا.

the significace of complementaires in the Holy Quran The Almightys saying: (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) and (وامْرأَتُه حَمَّالة الحطب) as amodel.

* قادري جمال

kadri djamal:

جامعة الجزائر 2، كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية. الجزائر..

Algers university 2. Algeria.

djamelkadri1984@gmail.com

تاريخ الإرسال:. 2020/11/09	تاريخ القبول:2021/06/08	تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص البحث

المتممات او المكملات عناصر لغوية فضلة، تتمثل في التوابع والمفاعيل، تقع بعد عُمد الكلام: (المسند والمسند إليه)، تمنح الجملة النواة اتساعا في التركيب، ودلالة في المعاني، فالإسناد من دون متمماتٍ أحكامٌ مطلقة أو عامة، أو خاطِئة أحيانا، ومن هنا تظهر أهميتها وعظيم فائدتها في التركيب.

غايتنا من وراء هذا البحث إبراز دور المتممات، وإظهار مكانتها تركيبا ودلالة، فهل المتممات مكملات يمكن الاستغناء عنها، أم أنها تحتل مكانة العمد أحيانا ؟ . هل تنحصر الدلالة في العناصر الأساسية: (المسند والمسند إليه)، أم تتعدى إلى العناصر المتمِّمة كالأوصاف والأحوال ... ؟ . ما هي الأبعاد الدلالية التي تتوارد على الجمل انطلاقا من المتممات ؟.

اتبعنا في عرضنا هذا منهجا تحليليا حِجَاجيا، أظهرنا فيه دلالية المتممات ومكانتها في التركيب، إذ إن الطاعنين في الدين قد ولجوا بابا اسمه المتممات، فرُدُّوا ألفاظا من القرآن فقالوا مثلا: لفظة (كاملة) في قوله تعالى(**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ**) [البقرة:196]، جاءت لتوضيح شيء لا يحتاج إلى توضيحه، فمعلوم بالضرورة أن الثلاثة والسبعة عشرة، فَذكر المتمم الوصفي (كاملة) يكون إيضاحا للواضح.

. فما هي دلالات المتمم (كاملة)، وما هي أبعاده ؟، ماهي المعاني التي يضفيها المتمم (حمالة) في قوله تعالى: (**وامْرأَتُه حَمَّالة الحَطب**) [المسد: 04].

الكلمات المفتاحية: متمِّمات، عمدة، دلالة.

* قادري جمال: djamelkadri1984@gmail.com

Abstract :
The Arab Grammarians has divided the Arabic sentence's structure into two parts , essential elements and supplements. And the principle of this division is based on the benefit, the basic meanings get started from the essential elements but the supplements are explanatory complements , fall after the completion of the sentence . It has the merit of increasing and expanding the meaning. It is not a virtue that can be dispensed with. That the sentence is limited to mentioning its two parts (The predicate and ascribed to it) . The absence of complements leads to absolute judgments, So the recipent goes for every doctrine because the speech is complete or introspective, if it is increased to them from what is related to them or to one of them, the judgement then abides by and the restriction is the dependencies : Adjective , Adverb and the object and we have represented in our research this as an attribute in the holy Quran.
Key words : complements .the basic .Significance.

القرآن الكريم نزل وفق سنن العرب في كلامها، ومطابقا لشروط فصاحتها وبلاغتها . ومن ثمَّ كان التحدي . ولما كان ذلك كذلك أَوْلَوا لغته عناية فائقة، من حيث أصواتها، ومفرداتها وتراكيبها ودلالاتها، والغاية الوصول إلى المعاني وتصيدها.

كانت نظرة النحاة العرب فاحصة حيث تنبهوا وهم يدرسون تركيب كلامهم إلى قانون من قوانين تركيب الجملة العربية، ألا وهو تقسيم عناصرها إلى: ركني إسناد، هما بمثابة الثَّابت أو النواة، وبه تحصل الفائدة، و متمَّمات أو مكملات متعلقات بالجملة النواة.

ثم لما كانت الإفادة تحصل انطلاقا من عنصرين أساسيين، هما: (المبتدأ والخبر) بالنسبة للجملة الاسمية، و(الفعل والفاعل) بالنسبة للجملة الفعلية، حظيت بالمكانة أي: بمنزلة العُمَد، وبقية العناصر من مفاعيل وأوصاف وأحوال ... هي زيادة على هذا التأسيس، لها دور المتمم أو المكمل.

. فهل هذا يعني أن المتممات فَضْلة لا دلالة لها، ولا فائدة ترجى من ورائها ؟.

. ما معنى المتممات ؟.

. هل تنحصر الدلالة في العناصر الأساسية: (المبتدأ والخبر) من جهة، و (الفعل والفاعل) من جهة أخرى، أم تتعدى إلى العناصر المتممة كالأوصاف والأحوال ... ؟

. هل المتممات حقّا مكملات أم تَتَبَوَّأُ مكان العمدة أو أشباهها فلا يستغنى عنها ؟.

1 . مفهوم (العمدة) و (الفضلة أو المتممات):

ينحدر مصطلح (فَضْلة) من مادة (فضل)، ومعناه البقية أو الزيادة، قال ابن منضور: " الفضل والفضلة البقية من الشيء" [1]، أما في الاصطلاح فهو: " ما ليس ركنا في الإسناد " [2]، وهو مصطلح نحوي قديم [3]، يقابله مصطلح العمدة [4]، أردفه . الفضلة . النحاة والبلاغيون فيما بعد بمصلحات عدة منها: " المتممات، المكملات، الزيادة، القيد " [5]، فعناصر الجملة إما عُمد أو متممات [6].

فعمد الكلام، هي المسند والمسند إليه، وهما عنصران أساسيان، فـ (المبتدأ) بالنسبة للجملة الاسمية هو (المسند إليه)، و(الخبر) هو (المسند)، أما الجملة الفعلية فـ (الفاعل) هو (المسند إليه)، و (الفعل) هو (المسند)، كقولنا: (زيد قائم)، و(جاء محمد)، فانطلاقا من التتبع والاستقراء لكلام العرب حصر تركيب الكلام وحصول الفائدة في هذين الركنيين الأساسيين، وهو ما عناه سيبويه بقوله: " هذا باب المسند والمسند إليه، وهما لا يستغني واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بدٌّ، فمن ذلك الاسم المبتدأ، والمبني عليه، وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل يذهب عبد الله " . [7]

ما سوى هذان العناصر . (المسند والمسند إليه) . هي متممات أو مكملات أو فضلة، يمكن أن يتألف الكلام من دونها، وتنحصر في التوابع والمفاعيل، ويغلب عليها حكم النصب فـ " المنصوبات في الأصل فضلة " [8]، مثل: (يحترم الناس العلماءَ، وأحسنت إحسانًا، جاء محمد راكبًا، جاء التلاميذ إلاَّ عليًا، سافرت يومَ الخميس، جلست أمامَ المنبر، جئت رغبةً في العلم)، فهذه الكلمات المسطر تحتها متممات، وهي مرتبة كالآتي: (مفعول به، مفعول مطلق، حال، مستثنى، ظرف زمان، ظرف مكان، مفعول لأجله). [9]

2 . متممات واجب ذكرها، وعُمَد جائز حذفها:

تكون المتممات أحيانا واجبة الذكر، إذ المعنى من دونها لا يستقيم، مثل قوله تعالى: (وإذا قَامُوا إلى الصَّلاة قَامُوا كُسَالى)[النساء:142]، فإنه لا يمكن الاستغناء عن (كسالى) التي هي فضلة أو متمم، حيث أفادت دلالة أساسية هي إبراز هيئة قيام هؤلاء المنافقين إلى الصلاة، فالمعنى من دون الحال: (كسالى) ناقص غير تام، و على العكس من ذلك فيمكن أن تحذف العمدة في بابها، " بل قد تكون الفضلة واجبة الذكر والعمدة واجبة الحذف كما في الإغراء والتحذير في نحو (إياكم والكذب)، و (اللهَ اللهَ في الدماء)، وكما هو في بعض أحوال حذف عامل المفعول المطلق نحو (صبرا آل ياسر)، فالمذكور هنا هو الفضلة والعمد محذوفة وجوبا، فكلٌّ من الفضلة والعمدة قابل للحذف كما هو معلوم" [10]، إلا أن هذا الحذف على نية التقدير، وحذف ما يعلم جائز، وعلى هذا لا يمكن أن يتألف كلام من دون عمدة

مذكورة أو مقدرة، في حين أنه يمكن أن يتألف كلام دون ذكر الفضلة، فالفضلة لها دلالات ومن ورائها مقاصد قد تبوئها مكانة العمدة، وهذا ما سنثبته إن . شاء الله . في تحليلنا للنموذجين الآتيين.

3 . المتمم الوصفي [11] ودلالاته:

الجملة في أول مراحلها جملة مطلقة، عمادها المسند والمسند إليه، ثم يتسع هذا التشكل بإدخال عناصر إضافية . (متمَّمات) . على الجملة المطلقة ناحية اليسار وناحية اليمين، فتستطيل وفق الإمكانات اللغوية، ومراعاة حال الكلام بعضه مع بعض، من خلال تناسق الدلالة وتلاقي المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل، فتُحول الجملة المطلقة إلى جملة مقيدة، "مكوّنة علاقة نحوية جديدة " [12] تمدُّ في بناء الجملة النواة من خلال معان وظيفية مخصوصة، وروابط تركيبية محدَّدة، " تولِّد ضربا من الدلالات بحكم اقترانها بقيم معنوية اقترانا متصلا يُكوِّن كَيَانًا قائما بذاته متصلا بحلقاته " [13]، فهذا الضرب من الدلالات ينحصر في المتممات، ومنها الوصف، ويؤتى به لمقاصد وأعراض.

فما هو المتمم الوصفي وما هي أهم دلالاته ؟.

(الوصف) أو (النعت): مصطلح نحوي فضلة غايته تكملة المعنى وتوضيحه، فـ (النعت) تسمية كوفية يقابله مصطلح (الصفة) عند البصريين، فـ " أهل البصرة من النحاة يقولون الصفة، وأهل الكوفة يقولون النعت " [14]، وهو تابع مكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته مثال (مررت برجل **كريم**)، أو صفات ما تعلق به . وهو سَبَبِيُّه [15] . نحو مررت برجل **كريم** أبوه.

فهذا المتمم . (الوصف) . يأخذ أبعادا دلالية ومقاصد بلاغية، نذكر منها:

. تخصيص المنعوت بصفة تميزه إن كان نكرة، نحو: (جاءني رجل **مؤدب**)، أو التوضيح إن كان معرفة، مثل: (جاءني الرجل **المؤدب**).

. ومن أغراضه الكشف عن حَقِيقَة، مثل: (الجسم **العريض** يشغل حيزا من الفراغ).

. يفيد الترحم مثل قولنا: (قدم زيد **المسكين**).

. يفيد المدح مثل: (حضر سعيد **المنتصر**)، أو الذم مثل قوله تعالى: (وامْرَأَتُه **حَمَّالةُ** الحطب) [المسد: 04].

لا تحصل الفائدة في هذه الآيات: (بَل أَنْتُم مُسرفونَ)[الأعراف:81]، وقوله تعالى: (قَال إنَّكم قومٌ تَجْهلونَ)[الأعراف:138] وقوله تعالى: (وتَكُونُوا من بعده قومًا صالحين) [يوسف:09]، إلا بذكر النعوت الآتية: (مسرفين، تجهلون [16]، صالحين)، على الترتيب، فالفائدة لم تتحقق بخبر المبتدأ (قوما) في

الآية الأولى، ولا بخبر الناسخ (قوم) في الآية الثانية، ولا بخبر الفعل الناسخ (قوما)، في الآية الثالثة، مع أنَّها جميعا عمد، ولكن جاء النعت المسطر تحته ليتمِّم الفائدة الأساسية بالاشتراك معها، وهذا خلاف الأصل، لأن الأصل في الأخبار أن تكمِّل المعنى وتُتمِّمَ الفائدة.

4 . دراسة تحليلية:

النموذج الأول: دلالية المُتمِّم (كاملة) في قوله تعالى: (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)[17] [البقرة:196].

قد يُظنُّ أن المتمم (كاملة) في الآية الكريمة: (فَمن لم يَجِد فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا رَجعتم تلك عشرةٌ كاملةٌ)، لا دلالة له، ولا فائدة ترجى منه، حيث جاء لتوضيح شيء لا يحتاج إلى توضيحه، فلا يؤتى بالوصف (كاملة) بعد كلمة عشرة التي تمَّ بها المعنى، وهذا باب دخل منه الطاعنون في الدين " فقد طعن الملحدون لعنهم الله في هذه الآية من وجهين، أولهما: إن من المعلوم بالضرورة أن الثلاثة والسبعة عشرة، فَذكر المتمم الوصفي (كاملة) يكون إيضاحا للواضح، والثاني: أن قوله: (كاملة) يوهم وجود عشرة غير كاملة، في كونها عشرة، وذلك محال " [18].

. فما هو سر إيراده، وما هي الأبعاد الدلالية لهذا المتمِّم .كاملة . في هذه الآية ؟.

يمكن الرد على هذا الوهم الذي تسلل من بابه الطاعنون من وجوه عشرة وهي:

الدلالات المحتملة للمتمم (كاملة):

1 . العدد عشرة من الأعداد التي يجوز وصفها، " فمراتب الأعداد أربعة: آحاد وعشرات ومئات وألوف، وما وراء ذلك فإما أن يكون مركبا أو مكسورا، وكون العشرة عددا موصوفا بالكمال بهذا التفسير أمر يحتاج إلى التعريف، فصار تقدير الكلام: إنَّما أوجبت هذا العدد لكونه عدد موصوفا بصفة الكمال خاليا من الكسر والتركيب " [19]، فبهذا صحَّ وصف العشرة بالمتمم (كاملة) ودلالته الوصف و الكمال.

2 . المراد بالمتمم (كاملة) عدم إفادة التخيير بين ثلاثة وسبعة، بل إفادة مجموعهما مِمَّا هو عشرة تامَّة غير ناقصة، لأن الواو في قوله: (وسبعةٍ إذا رَجعتم) ليس نصًّا قاطعا في الجمع، بل قد تكون بمعنى (أو) كما في قوله تعالى: (مَثْنى وثلاثَ ورباعَ):[النساء: 03]، وكما في قولنا: (جالس الحسن و ابن سرين)، أي جالس هذا أو هذا، فإن ظُنَّ أنَّ العشرة بنفسها كاملة، " فالجواب أن الله تعالى لما قال: (فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا رَجعتم)، أوجب صوم ثلاثة أيام هناك وصوم سبعة أيام بعد الرجوع، جاز أن يتوهم أنه مخير بين الثلاثة والسبعة " [20]، فأزال ذلك التوهم، ورفع اللبس بقوله (كاملة)، فلا يجوز

له إلا إتمام عشرة لأجل قوله (كاملة).

3 . المراد (بكاملة) الأمر بإتمامها وإكمالها، فإنَّ اللفظ وإن كان خبرا، لكنَّ المعنى أمر، والتقدير: فلتكن تلك الصيامات صيامات كاملة، لأنَّ الحجَّ المأمور به حجٌ تام على ما قال: (وأتمُّوا الحجَّ والعمرةَ لله)[البقرة:196]، وهذه الصيامات جبرانات للخلل الواقع في ذلك الحجِّ الذي يجب أن يكون تاما كاملا، وإنما " عدل عن لفظ الأمر إلى لفظ الخبر لأن التكليف بالشيء إذا كان متأكدا جدًّا، فالظاهر دخول المكلف به في الوجود، فلهذا السبب جاز أن يجعل الإخبار عن الشيء بالوقوع كناية عن تأكيد الأمر به ومبالغة الشرع في إيجابه " . [21]

4 . المتمِّم (كاملة) ذكر على وجه التَّوكيد، "كما تقول العرب رأيت بعيني وسمعت بأذني وكتبت بيدي " [22]، فالتعبير بالعبارات الكثيرة يدل على كونه في نفسه مشتملا على مصالح كثيرة، لا يجوز الإخلال بها، " أما ما عبر عنه بعبارة واحدة فإنه لا يعلم منه كونه مصلحة مهمة يجوز الإخلال بها، وإذا كان التوكيد مشتملا على هذه الحكمة كان ذكره في هذا الموضع دلالة على أن رعاية العدد في هذا الصوم من المهمات التي لا يجوز إهمالها ألبتَّة " [23]، ففائدة المتمم (كاملة) من هذا الوجه أن الكلام حين يوصف بالصفات ويعرف بالعبارات العديدة، أبعد عن السهو والنسيان من الكلام الذي يعبر عنه بالعبارة الواحدة.

5 . فائدة المتمم (كاملة) أن هذا الكلام " يزيل الإبهام المتولد من تصحيف الخط " [24]، و ذلك لأن (سبعة) و(تسعة) متشابهتان في الخط إذا تجردتا من النقط، فإذا قال بعده تلك عشرة كاملة زال هذا الاشتباه .

6 . يحتمل من هذه الآية: (فَمن لم يَجِد فصيامُ ثلاثةِ أيامٍ في الحجِّ وسبعةٍ إذا رَجعتم)، أن يكون الواجب بعد الرجوع أن يكمل سبعة أيام، على أنه يَحْسِب من هذه السبعة تلك الثلاثة المتقدمة، حتى يكون الباقي عليه بعدُ من الحج أربعة سوى تلك الثلاثة المتقدمة، ويحتمل أن يكون المراد منه أن يكون الواجب بعد الرجوع (سبعة) سوى تلك الثلاثة المتقدمة، " فهذا الكلام محتمل لهذين الوجهين، فإن قال بعدُ: (تلك عشرةٌ كاملةٌ) زال هذا الإشكال " [25]، وتبين أن عليه سبعة أيام سوى الثلاثة المتقدمة.

7 . مضمون هذا التركيب الدلالة على الحساب والعدِّ، وهو موجه للعرب وغيرهم، " ولم يكونوا . العرب . أهل حساب " [26]، فبين الله تعالى ذلك بيانا قاطعا للشك والريب، ومفاد هذا البيان أن ثلاثة إذا أضيف لها سبعة صار عدها عشرة، ونظير هذا: ما روي عن النبي . صلى الله عليه وسلم . أنه قال في

الشهر: " هكذا وهكذا وأشار بيديه ثلاثا، وأشار مرة أخرى وأمسك إبهامه في الثالثة، مبينا بالإشارات الأولى على ثلاثين، وبالثانية على تسعة وعشرين " . [27]

8 . لا شك أن هذا الصوم جبران لما فات من النسك عدا الأركان، لمن افتقد الهدي أو لم يقدر عليه، فهو يعوضه بالتَّمام، فلما تبادر إلى بعض الأذهان أفضلية الهدي على الصوم لمن لم يقدر، جاء الحسم من الله، فـ " لا يتوهم أنه قد بقي منه شيء " [28] بعد صومه لهذه الأيام السبعة، فَيَغْدُو الحاج " ساكن النفس إلى ما حصل له من الأجر الكامل، وهذا الكمال يجمل في ثلاثة أوجه، أحدهما: " أنها كاملة في البدل عن الهدي قائمة مقامه، وثانيها: أنها كاملة في ثواب صاحبه مثل ثواب من يأتي بالهدي من القادرين عليه، وثالثها: أنها كاملة في أن حج المتمتع إذا أتى بهذا الصيام يكون كاملا، مثل حج من لم يأت بهذا التمتع " [29]، فجاء هذا المتمم الوصفي (كاملة)، لرفع التوهم، والقطع بتساوي الفضل.

9 . إن الله تعالى إذا قال: (أوجبت عليكم الصيام عشرة أيام)، لم يبعد أن يكون هناك دليل يقتضي خروج بعض هذه الأيام عن هذا اللفظ، فإن تخصيص العام كثير في الشرع والعرف، فلو قال: " (ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم)، بقي احتمال أن يكون مخصوصا بحسب بعض الدلائل المخصِّصة، فإذا قال بعده: (تلك عشرةٌ كاملةٌ)، فهذا يكون تنصيصا على أنَّ هذا المخصِّص لم يوجد أَلبتة فتكون دلالته أقوى، واحتماله للتخصيص والنسخ أبعد " . [30]

10 . الحجُّ عبادة شاقة جدّا، وهذا سبب لكثرة الثواب وعلو الدرجة، فأوجب الله صيام هذه الأيام العشرة، وشهد على أنه عبادة في غاية الكمال والعلو، يدل على تعظيم الحال، فكأنه قال: عشرة وأي عشرة ؟، عشرة كاملة، وبيانه: " أن الله سبحانه لما أمر بصيام (ثلاثة) أيام في الحج و(سبعة) بعد الرجوع من الحج، فليس في هذا القدر بيانٌ أنه طاعة عظيمة كاملة عند الله سبحانه وتعالى، فلما قال بعده: (تلك عشرةٌ كاملةٌ)، دلَّ ذلك على أن هذه الطاعة في غاية الكمال، وذلك لأن الصوم مضاف إلى الله تعالى بلام الاختصاص " [31]، فقد روي عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أنه سمع رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يقول: قال الله عز وجلَّ: " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، هو لي و أنا أجزي به، والذي نفس محمد بيده لَخُلُوفُ فم الصائم أطيب من ريح المسك " [32]، والحج كذلك مضاف إلى الله تعالى بلام الاختصاص، على ما قال: (وأتِمّوا الحجَّ والعمرةَ للهِ)[البقرة:196]، وكما دلَّ النص على مزيد اختصاص لهاتين العبادتين بالله سبحانه وتعالى،" فالعقل دلَّ أيضا على ذلك أيضا، أما في حق الصوم فلأنه عبادة لا يطلع العقل ألبتة على وجه الحكمة فيها، وهو مع ذلك شاق على النفس، جدًّا فلا جَرَمَ لا يؤتى به إلا

لمحض مرضاة الله تعالى، والحج أيضا عبادة لا يطَّلع العقل ألبتة على وجه الحكمة فيها، وهو مع ذلك شاق جدًّا، لأنه يوجب مفارقة الأهل والوطن، أما عن هذه الأيام العشرة بعضها واقع في زمن الحج فيكون جمعا بين شيئين شاقَّين جدًّا، وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج، وهذا انتقال من شاق إلى شاق، ومعلوم أن ذلك سبب لكثرة الثواب وعلوِّ الدرجة فلا جرم أوجب الله تعالى صيام هذه الأيام العشرة وشهد سبحانه على أنه عبادة في غاية الكمال والعلو" .[33]

وبهذا تمَّ الرد بعون الله على هذه الفرية من عشرة وجوه كاملة، خلاصتها: أنها كاملة في البدل عن الهدي قائمة مقامه، وثانيها: أن ثواب صاحبه كامل غير ناقص، مثل ثواب من يأتي بالهدي، وثالثها: أن حج المتمتع إذا أتى بهذا الصيام يكون حجه كاملا غير ناقص.

النموذج الثاني: دلالية المتمم (حَمَّالَة) في قوله تعالى: (وامْرَأَتُه حَمَّالة الحطب) [المسد: 04].

ورد هذا المتمم " (حَمَّالَة) " في قوله تعالى: (وامْرَأَتُه حَمَّالةُ الحطب) في سورة المسد، وهو وصف موجه لـ (أم جميل) امرأة أبي لهب، أخت أبي سفيان بن حرب، حيث كانت مؤذية لرسول الله . صلى الله عليه وسلم . وللمؤمنين " بلسانها غاية قدرتها، كانت تجيئ بالشوك فتطرحه في طريق النبي . صلى الله عليه وسلم . وطريق الصحابة ليعقرهم " [34]، فبعد أن تَوعَّدهما . أبو لهب وامرأته . الله بالنار يوم القيامة بقوله: (سَيصلى نَارًا ذَات لهبٍ وامرأته) ذكر أنها (حمالة الحطب).

فهل هذا الوصف المسْتَشَفُّ من المتمم (حمالة): علة وسبب لما ستصلاه من نار يوم القيامة؟، أم أنه زيادة عذاب ؟، فهي فضلا على أنها في السعير، " تحمل حطبا " [35]، وفي عنقها حبل من نار، وهذا غاية الحقار والصغار.

1 . الاختلاف الإعرابي للفظة (حمالة) وسند الرواية:

قرئ هذا المتمم (حمالة) بالرفع والنصب، فقراءة النصب هي قراءة عاصم بن أبي النجود [36] من السبعة، وغيره كعبد الله بن أبي إسحاق [37]، والحسن والأعرج وابن محيصن [38]، أمَّا قراءة الرفع . (حمالةُ) . فهي قراءة بقية السبعة، أي عامَّة قَرَأَةِ المدينة والكوفة والبصرة [39]، وهم (نافع حمزة والكسائي وابن كثير وأبو عمرو) . [40]

لما كان الإعراب فرع المعنى، وصحَّ وجه الرفع والنصب في سند قراءة (حمالة)، احْتِيجَ إلى هذه التوضيحات الإعرابية، فقراءة النصب طريقها الذَّم، و" العرب تنصب بالذم والمدح والترحم بإضمار

(أعني)، ومعناه أنها كانت تمشي بالنميمة، فذمَّت بذلك " [41]، فالذم طريقه النصب، " لأنك إذا نصبت لم تقصد إلى أن تزيدها تعريفا وتبيينا، وإنما قصدت إلى ذمِّها، وعلى هذا المعنى يقع النصب في غير هذا على المدح " . [42]

أمَّا قراءة الرفع . (حمالةُ) . فعلى الوصف لـ (امرأته) [43]، و يفهم منه الذم أيضا، لأنه يحتمل أن يكون إخبارا. [44]

2 . الدلالات المحتملة للمتمم (حمالة):

تتراوح دلالة المتمم (حمالة الحطب) بين الحقيقة والمجاز[45] وتفصيل ذلك:

أ . الدلالات الحقيقية:

كانت زوج أبي لهب تسعى جاهدة في إيذاء النبي وأصحابه، فتحمل الشوك والحَسكَ وتنثرهما في طريق رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، وهذا ما روي عن ابن عباس . رضي الله عنهما . قال: " كانت تحمل الشوك، فتطرحه على طريق النبي . صلى الله عليه وسلم . ليعقره وأصحابه " [46]، وقيل: " إنها كانت تأتي بأغصان الشوك فتطرحها بالليل في طريق رسول الله . صلى الله عليه وسلم . " [47]، وعلى هذا التأويل (فحمالة) " معرفة يراد به الماضي ". فإن قيل إنها كانت من بيت العز، فكيف يليق بها أنها تسعى في جمع الحطب وهي المكرمة المنعمة؟، والجواب على هذا يحتمل أنها: " كانت مع كثرة مَالِها خسيسة " [48]، أو كانت لشدة عداوتها تحمل بنفسها الشوك والحطب لأجل أن تلقيه في طريق رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، كما أن شدة تعييرها و سليط لسانها في جنب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، قوبل بفعلها الدنيء . (جمعها للحطب) . فتشاكل قولها مع فعلها، فعيرت بفعل خسيس كانت تأتيه على وجه الحقيقة.

كما يحتمل المعنى أن: (حمالةُ الحطب) وصْفُ حالٍ يوم القيامة وهو: " حَمَّالة الحطب في النار" [49]، وفي رقبتها " حَبل من حديد " . [50]

ب . الدلالات المجازية:

يحتمل المتمم (حمالة الحطب) أنها كانت تمشي بالنميمة، وهذا ما رواه ابن جرير الطبري عن قتادة: " كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض " [51]، إذ يقال للمشاء بالنمائم: " مفسد بين الناس، يوقد بينهم النَّائِرة " [52]، فامرأة لهب كانت تحطب الكلام وتعيِّر رسول الله بالفقر وتؤذي الصحابة . رضي الله عنهم . فكان هذا " استعارة لسعيها على الدين والمؤمنين كما تقول: (فلان يحطب على فلان وفي حبل فلان)، فكانت هي تحطب على المؤمنين وفي حبل المشركين " . [53]

كما يحتمل المعنى أن (حمالة الحطب) المراد منه ما حمت من الآثام و الذنوب في عداوة رسول الله، " لأنه كالحطب في تَصييرها إلى النار " [54]، فكان هذا السعي عِلَّة صَيَّرها إلى النار، ونظيره " أنه تعالى شبه فاعل الإثم بمن يمشي وعلى ظهره حِمل " [55]، قال تعالى: (فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وإثْمًا مُبينًا)[الأحزاب:58]. و قال تعالى: (ليحْمِلوا أَوزَارهُم كَاملةً يومَ القِيامة)[النحل:25].

وخلاصة القول أن المتمم (حمالة) أضاف إلى ما قبله من كلام معنى لا غنى للسامع عنه، تراوح بين الحقيقة والمجاز، وهذا من قبيل التوسع في الدلالة.

خاتمة.

لقد قسم النحاة العرب بنية الجملة العربية بعد طول تأمل إلى قسمين اثنين، عُمَد ومتممات، ومبدأ تقسيمهم هذا قائم على الإفادة، فالعمدة ما كان ركنا في الإسناد، لا يمكن الاستغناء عنه ولا تحصل الفائدة من دونه، وهما (المبتدأ) و(الخبر) بالنسبة للجملة الاسمية، و(الفعل) و(الفاعل) بالنسبة للجملة الفعلية، أما المتممات فهي مكملات توضيحية تقع بعد تمام الجملة، لها فضل الزيادة والتوسيع في المعنى، وليس المراد بها فَضْلَة يصح الاستغناء عنها.

إن الاقتصار في الجملة على ذكر جزأيها (المسند والمسند إليه) وغياب المتممات يفضي إلى أحكم مطلقة أو مغلوطة، ومثاله الحال (لاعبين) في قوله تعالى: (وما خَلَقْنا السَّماءَ والارضَ وما بَيْنَهُما لاَ عِبِينَ)[الأنبياء:16]. فيذهب المتلقي حينها كلَّ مذهب، لكَون الكلام المُلْقَي حَمَّال أوجه، غير مقتصر على دلالة بعينها، وإذا زيد عليهما مما يتعلق بهما أو بأحدهما فالحكم حينها يتقيد، والتقييد يكون بالتوابع، والنواسخ، والحال، والتمييز ...

اقتصرنا في هذا البحث على المتمم (كاملة)، الوارد في قوله تعالى: (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) الذي من مقاصده التأكيد، وكذا (حمَّالة) في قوله تعالى: (وامْرأَتُه حَمَّالةُ الحطب) [المسد:05]، وفائدة الذم، وبينا حقيقة ما يحملانه من مزيد فائدة، وتقويتها عند السامع، فالحكم كلَّما كثرت قيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا، فتكون فائدته أتمَّ وأكمل.

هوامش:

[1] . ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، المحققون: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د، ط)، (د، ت).ص3430. مادة: (فضل).

[2] . صالح الفوزان، دليل السالك إلى ألفية ابن مالك، دار المسلم، ط1، 1998، ج1، ص452.

[3] . الرضي الأستراباذي (محمد بن الحسن)، شرح الرضي على الكافية، عمل يوسف حسن عمر، جامعة بن غازي، ط2، 1996م، ج1، ص183.

[4] . عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف المصرية، مصر، ط3، (د، ت)، ص365.

[5] . فاضل صالح السمرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، عمان، الأردن، ط2، 1427هـ، 2007م، ص14.

[6] . الغلاييني (مصطفى)، جامع الدروس العربية، دار ابن الهيثم، القاهرة ، مصر، (د، ت، ط)، ص20.

[7] . السيرافي (أبو سعيد)، شرح كتاب سيبويه، تحقيق، أحمد حسن مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ج1، ص174.

[8] . الرضي الأستراباذي، شرح الرضي على الكافية، ج1، ص183.

[9] . إذا وقعت المتممات بعد حرف جر أو بعد المضاف، فحكمها أن تكون مجرورة، أما في باب الاستثناء في كلام منفي ذكر فيه المستثنى منه، جاز الرفع والنصب مثل (سعيد) في قولنا: (ما جاء أحد إلا سعيدٌ، وإلا سعيدًا).

[10] . فاضل صالح السمرائي، الجملة العربية تأليفها وأقسامها، ص14.

[11] . لما كان إعراب المتممين: (كاملة)، (حمالة) في النموذجين وصفا، ارتأينا أن نظهر بعض دلالات التقييد بالصفة أو النعت، وما تبقى من إشارات دلالية سنبيِّنها أثناء التحليل، إن شاء الله.

[12] . جان ماري سشايفر، العلاماتية وعلم النفس، إعداد وترجمة: منذر عياش، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004م، ص122.

[13] . عبد الحميد السيد، دراسات في اللسانيات العربية، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1424هـ، 2004م، ص 25.

[14] . أبو هلال العسكري (حسن بن عبد الله)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، (د، ط)، (د، ت)، ص30.

[15] . محمد محي الدين عبد الحميد، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق ابن عقيل، دار الطلائع القاهرة، (د، ط)، (د، ت).ج3، ص158.

[16] . الجملة الفعلية: (يجهلون) في محل رفع نعت لقوم.

[17] . صفة لعشرة مرفوعة.

[18] . الرازي (فخر الدين)، تفسير الفخر الرازي الشهير بـ: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تحقيق، خليل الميس، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1401هـ، 1981م، ج5، ص691.

[19] . الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج5، ص691.

[20] . الباقولي (أبو الحسن علي بن الحسين الأصفهاني)، كشف المشكلات وإيضاح المعضلات، تحقيق: محمد أحمد الدالي، مطبعة الصبل، (د، ط)، 1415هـ، 1994م، ج1، ص145.

[21] . الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج5، ص170.

[22] . ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء)، تفسير القرآن العظيم، طبعة مخرجة على كتب العلامة: محمد ناصر الدين الألباني، اعتناء وتخريج: محمود بن الجميل، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1427م، 2006م، ج1، ص364.

[23] . الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج5، ص169.

[24] . المصدر نفسه، ص170.

[25] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها..

[26] . المصدر نفسه، ص169.

[27] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[28] . الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، فتح القدير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، (د، ط، ت)، ج1، ص355.

[29] . الرازي، تفسير الرازي، ج5، ص168، 169.

[30] . المصدر نفسه، ص169.

[31] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها..

[32] . النووي (محي الدين بن شرف)، صحيح مسلم بشرح النووي، الطبعة المصرية، الأزهر، مصر، ط1، 1347هـ، 1929م، ج8، ص29.

[33] . الرازي، تفسير الرازي، ج5، ص169.

[34] – ابن عطية (القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب)، المحرَّر الوجيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، 2001م، ج5، ص535.

[35] . الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص355.

[36] – ابن مجاهد (أبو بكر)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعرف، مصر، (د، ت، ط)، ص700.

[37] – الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري وآخرون، نسخة مقابلة على نسخة الشيخين: محمود محمَّد شاكر، وأحمد محمَّد شاكر، دار السلام، مصر، القاهرة، ط6، 1436هـ، 2015م، ج1، ص795.

[38] – ابن عطية، المحرَّر الوجيز، ج5، ص535.

[39] . الطبري، تفسير الطبري، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري ...، ج10، ص8823.

[40] . القراء السبعة معروفون بصحة النقل، وإتقان الحفظ، مأمونون على تأدية الرواية وهم: (عبد الله بن كثير، و نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي، و أبو عمرو بن العلاء، و عاصم ابن أبي النجود، حمزة بن حبيب الزيات ، و الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة، و عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي).

. انظر: ابن خالويه (أبو عبد الله الحسين بن أحمد)، الحجة في القراءات السبعة، تحقيق وشرح: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1417هـ، 1996م، ص62.

[41] . ابن خالويه، الحجة في القراءات السبعة، ص377.

[42] . مكي (أبو محمد بن أبي طالب القيسي)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط3، 1404هـ، 1984م، ج2، 390.

[43] . يحتمل على قراءة الرفع أن تعرب (حمالة): صفة لـ (امرأته)، و(امرأته) معطوفة على الضمير في (سيصلى)، أو خبر بتقدير ضمير (مبتدأ) أي: (هي حمالة)، أو على البدل من امرأته، أو على الخبر لـ (أمرأته).

. انظر: النحاس(أبو جعفر)، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب، ط2، 1405هـ، 1985م، ج5، ص306. و محي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط7، 1460هـ، 1999م، ج8، ص442.

[44] . مكي بن أبي طالب، الكشف، ج2، 390.

[45] . السمين الحلبي (أحمد بن يوسف)، الدرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، (د، ط، ت)، ج11، ص144.

[46] . الطبري، تفسير الطبري، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري ...، ج10، ص8824.

[47] . الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج32، ص172.

[48] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها..

[49] . الشوكاني، فتح القدير، ج1، ص355.

[50] . الطبري، تفسير الطبري، تحقيق أحمد عبد الرزاق البكري ...، ج10، ص8824.

[51] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها..

[52] . الزمخشري (أبو القاسم جار الله)، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتناء وتخريج: خليل مأمون، دار المعارف، بيروت، لبنان، ط3، 1430هـ، 2009م، ص 1228.

[53] . الرازي، تفسير الفخر الرازي، ج32، ص172.

[54] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[55] . المصدر نفسه، الصفحة نفسها.